فريق التفريغ بموقع الطريق إلى الله
يـــقـــدم

"الذكرى والجراح" في الدفاع عن النبي صلى الله عليه وسلم

لفضيلة الشيخ : محمد حسان

رابط المادة : http://www.way2allah.com/modules.php?name=Khotab&op=Detailes&khid=35847

السلامُ عليكُم ورحمة الله وبركاته ، الحمدُ لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحدهُ لا شريك له ، وأشهدُ أن سيدنا محُمدًا عبدهُ ورسوله اللهُم صل وسلم وزد وبارك عليه ، وعلى آله وأصحابه وأحبابه وأتباعه ، وعلى كُل من اهتدي بهديه واستن بسُنته واقتفي أثره إلي يوم الدين ، أما بعد...

فحياكُم الله جميعاً أيُها الإخوةُ الفُضلاء الأعزاء ، وطبتُم وطاب ممشاكُم وتبوأتُم جميعًا من الجنةِ منزلا ، وأسأل الله الحليم الكريم جل وعلا الذي جمعنا في هذا البيت الطيب المُبارك على طاعته أن يجمعنا في الآخرة مع سيد الدُعاة المُصطفى في جنته ودار مُقامته إنهُ وليُ ذلك والقادر عليه ... أحبتي في الله..."الذكرى والجراح" هذا عُنوانُ لقائنا مع حضراتكُم في هذا اليوم الكريم المُبارك وكما تعودتُ حتى لا ينسحبَ بساطُ الوقت سريعًا من تحت أقدامنا فسوف ينتظمُ حديثي مع حضراتكُم تحت هذا العنوان في العناصر التالية :

أولاً: الذكرى والجراح ...ثانياً : رجالٌ يمُهدون الطريق... ثالثاً: خُطةٌ محُكمة... رابعاً : طيفٌ من الحنان وسحابةٌ من الحُب... خامساً : تضحيةٌ وفداء ، سادساً : لماذا لم تهُاجر ؟ فأعيروني القلوب والأسماع والله أسأل أن يجعلنا مِن مَن يستمعون القول فيتبعون أحسنه "أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ" الزمر: ١٨

أولاً : الذكرى والجراح

أحبتي في الله ، لا حاضر لأُمةٍ تجهلُ ماضيها ولا مُستقبل لأُمةٍ تنسى فضائلها ، وإذا كان الوقوفُ على الماضي لمُجرد البُكاء والنحيب والعويلِ فحسب هو شأن الفارغين العاطلين ، فإن ازدراء الماضي بكُل مافيه من خيرٍ ونور هو شأن الحاقدين الجاهلين ، ولقد حاول أعداءُ الأُمة بكُل سبيل أن يحولوا بين الأُمة وبين ماضيها المُشرق المجيد ، حتى لا تستمد الأُمة من الماضي دماءً زكيةً تتدفق في عروق المُستقبل والأجيال !

وبالفعل أصبحت سيرة النبي صلى الله عليه وسلم تُعرض لمُجرد الإعجاب السالب ، أو لمجرد الثقافة الذهنية الباهتة الباردة ، وكأننا لسنا مُطالبين أن نُحَوِل هذه السيرة الزكية العطرة في حياتنا إلى واقع عمليّ وإلى منهج حياة ، لنُحَوِل بل ولنُصلِح بها كُل زمان ومكان.

فأُمتُنا المسكينة في هذه الأيام تحتفل بذكرى هجرة النبي عليه الصلاة والسلام وجراحُها تنزفُ في كُل مكان في فلسطين ، وكوسوفو ، بعد البوسنة ، وفي الصومال ، وفي كشمير ، وفي طجاكستان ، وفي تركستان ، وفي الفلبين ، وفي الجزائر ، وفي الصومال ، وفي كُل مكان ، الأُمة جراحها تنزفُ بغزارة ولا زالت الأُمة تحتفلُ بذكرى الهِجرة بل وتتغنى في حق النبي صلى الله عليه وسلم بأبلغ الكلمات ، أُمةٌ تحتفلُ وجراحُها تنزف ، الجراح تنزف في كُل مكان ، انتُهِك عرضُها ، واحتُلَت أرضُها ، وضاع شرفُها ، وزال عِزُها ، وأُهين قُرآنها ونبيُها فبالأمس القريب جدًا خرج علينا كلابُ أهل الأرض من اليهود بصورةٍ يصورون فيها البشير النذير على هيئة

خنزير يطأُ بقدميه قُرآن المَلِك القدير ، واليوم تخرُج علينا مجلة لوب الألمانية المُتخصصة في عرض أحدث الموضات والموديلات والخيال ، تخرُج علينا المجلة في عددها الأخير عدد شهر أبريل بصورةٍ لمجموعة من الفتيات العاهرات العاريات يستخدمن آيات القُرآن كسجادة يركعن عليها ليُبرِزن مفاتنهُن ، بل وكخلفية يعرضن أمامها أجسادهُن العارية ، والأُمة مُهانة ، الأُمة مُهانة ذليلة ، وإن تحركت الأُمة من سُباتها العميق فهي لا تُجيد إلا لُغة الشجب ولُغة الاستنكار.

يا أُمةً عجزُها قد سار قائدها وضعفُها لم يعُد في الدرب إلا هو... يا أُمةً في خريف العُمر نائمةً تَلوكُ ماضٍ لها في القبر مثواهُ... هانت على نفسها فاستُعبِدت وونت وسلَّمت كنزها للص يرعاهُ

آسادُها رُوِضَت في الأَسْر طائعةٌ... فأُسْدُها دون أُسد الأرض أشياهُ... إن عمَّ خطبٌ بها فالكُل أَلسِنةٌ للشجب يا صاحبي والكُل أفواه... آهٍ يا مُسلمون آهٍ يا مُسلمون يُهان قُرآن ربنا ويُهان نبينُا صلى الله عليه وسلم

وتُحتَل أرضُنا ويُدَنسُ عرضُنا ويزول شرفُنا ويروح مجدُنا والأُمة تحتفلُ بذكرى الهجرة تحتفل الأُمة بذكرى الهجرة آهٍ يا مُسلمون مُتنا قروناً والمُحاق الأعمى يليه مُحاقُ... أي شيءٍ في عالم الغاب نحن آدميون أم نِعاجٌ نُساقُ نحن لحمٌ للوحش والطير منا الجُثث الحُمرُ والدم الدفَّاقُ... وعلى المُحصنات تبكي البواكي يا لَعِرض الإسلام كيف يُراقُ... قد هَوَيْنا لما هَوَت وأَعِدوا من الرَدى تِرياقُ... وأقتلعنا الإيمان فاسودت الدُنيا علينا واسودت الأعماقُ... وإذا الجِذرُ مات في باطن الأرضِ تموتُ الأغصان والأوراقُ

آهٍ يا مسلمون ، والله إن العين لتدمع ، وإن القلب ليتمزقُ كمدًا وأسىً على ضَعف المؤمنين والموحدين ، وعلى قلة حيلة الصادقين المُخلصين من هذه الأُمة وعلى تمرُد المُشركين وخيانة المُنافقين ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

الأُمة تحتفلُ الآن بذكرى الهجرة وجراحُها تنزف ووالله إنني أعي ما أقول جيدًا إن الأُمة تحتفلُ الآن بذكرى الهجرة وهي لا تعي حقيقةُ ما تحتفلَ به ، الأُمة تتغنى بالهجرة على أعلى المُستويات ، في كُل بقاع الأرض وهي لا تعي أن الهجرة عطاءٌ مُتجدد وهي تجهل أنها لن تسلُك طريقها للعزة والكرامة وسط صخور الكُفر وحجارة الشِرك العنيدة ، وأحجار النظام العالمي الجديد الصلدة لن تشُق الأُمة طريقها للعِزة والسِيادة والكرامة إلا برجالٍ يحفرون هذه الصخور والحجارة بالعرق والدماء ، يُحاكون الأطهار الأبرار الذين ضحوا بأنفسهم وأوقاتهم وأولادهم ليُمَهدوا الطريق لهجرة النبي صلى الله عليه وسلم بل إن شئت فقل ليجعلوا من جماجمهم وأشلائهم ولحومهم ودمائهم سدًا منيعًا يعبُر عليه المُصطفى صلى الله عليه وسلم بعقيدته وبإسلامه العظيم إلى الدُنيا كُلها .

وهذا هو عنصرنا الثاني من عناصر اللقاء

ثانياً: رجال يمُهدون الطريق

نعم لقد مَنَّ الله على النبي صلى الله عليه وسلم برجالٍ ضمدوا جراح النبي ، وأذهبوا آلام النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، إنهم نفرٌ قليل مُبارك كانوا اثنى عشرة رجلًا من الخزرج ، هذه النواة ، هذه هي البداية ، هذه هي القاعدة هذا النفرُ القليل الكبير بايعوا النبي صلى الله عليه وسلم بيعة العقبة الأولى وأرجو أن تُركزوا معي جيدًا

أيُها الأفاضلُ الكرام ، بايعوا النبي بيعة العقبة الأولى ثُم انطلقوا مع مُعلمهِم الرشيد الحكيم ، مع مُصعب رضي الله عنه إلى أين ؟ إلى يثرب ، لماذا ؟

ليزرعوا شجرة التوحيد بين صخور الشرك وحجارة الكُفر في المدينة وسُرعان ما ترعرعت شجرةُ التوحيد بل وأثمرت ، ولِمَ لا وقد عادوا في العام التالي مُباشرة وكانوا سبعين رجُلا ليُبايعوا النبي صلى الله عليه وسلم بيعة العقبة الثانية ، وفيها بايعوا رسول الله على السمع والطاعة في النشاط والكسل ، والله لا كرامة للأمة إلا إذا بايعت الأمة الآن من جديد رسولها صلى الله عليه وسلم بأركان وأصول هذه البيعة " قال : تبايعوني على السمع والطاعة في النشاط والكسل والنفقة في العسر واليسر وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأن تقولوا في الله لا تخافون في الله لومة لائم وعلى أن تنصروني فتمنعوني إذا قدمت عليكم مما تمنعون منه أنفسكم وأزواجكم وأبناءكم ولكم الجنة " صححه الألباني

هذه أركان البيعة الثانية... هذه نصوص المعاهدة ...لا عز للأمة الآن و لا كرامة إلا إذا قام كل فرد فيها اليوم وأعلن هذه البيعة من جديد ، وعاهد ربه سبحانه وعاهد النبي صلى الله عليه وسلم على أن يكون جنديًا وفيًّا لأركان هذه البيعة بحروفها وكلماتها ، عاهدوا النبي على السمع والطاعة في النشاط والكسل وعلى النفقة في العسر واليسر وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وعلى أن يقولوا لله لا يخافوا لومة لائم وعلى أن ينصروا النبي صلى الله عليه وسلم إذا هاجر إليهم ويمنعوه مما يمنعون منه أنفسهم وأموالهم وأزواجهم وأولادهم ولهم الجنة.

وبالفعل أيها الأحبة استطاع النبي صلى الله عليه وسلم بفضل الله ، ثم بفضل دعوته الصابرة الحكيمة الراشدة ، ثم بفضل هؤلاء الرجال الأبطال الأطهار الأبرار من الأنصار ...استطاعوا أن يؤسسوا للإسلام وطنًا وسط صحراء تموج بالكفر موجًا ، وبالفعل بدأت طلائع الهجرة المباركة تصل إلى المدينة ، بدأ المقهورون المعذبون تحت سياط صناديد الشرك في مكة يهربون ويفرون يضحون بماذا ؟ بالوطن بالأموال بالقَرابات بالعَلاقَات بل بالنفس والدماء من أجل العقيدة ...من أجل كلمة لا إله إلا الله ...من أجل أن تكون كلمة الله هي العليا ، وحلَّ المهاجرون بالمدينة ...أستغفر الله بل لا أقول حلَّ المهاجرون في بيوت الأنصار ودورهم ، وإنما حلَّ المهاجرون في عيون الأنصار وقلوبهم وصدق ربي إذ يقول "وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ" الحشر:٩

حلَّ المهاجرون في القلوب والعيون وهنا أمر الله نبيه أن يهاجر هو الآخر ، يقول ابن عباس رضي الله عنه "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ثم أمر بالهجرة" ونزل عليه قوله تعالى " وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا " الإسراء: ٨٠

وهنا خطط النبي صلى الله عليه وسلم للهجرة خُطة محكمةً دقيقةً مسددة ، وهذا هو عنصرنا الثالث بإيجاز لأعرج على كل عناصر الموضوع ، هذا هو عنصرنا الثالث من عناصر اللقاء خُطة محكمة.

ثالثا : خطة محكمة

نعم خرج النبي صلى الله عليه وسلم وصاحبه ، وقد وضع للهجرة خريطة مدروسة دقيقة ، وأتمنى لو وعت الأمة هذا الدرس من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإنني لا أرى أمة قد تخلت عن التخطيط والتنظيم و الأخذ بالأسباب كأمة النبي صلى الله عليه وسلم ! ولا حول ولا قوة إلا بالله

خطط النبي للهجرة ابتداءًا من أمره لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه لينام في فراشه ، ليخدع الطواغيت الذين حنَّطَهُم الغلُّ حول باب النبي صلى الله عليه وسلم ، وأعمى الحقد عيونهم وقلوبهم لأنهم ما تجمعوا إلا للانقضاض على النبي صلى الله عليه وسلم لقتله ، فإن البرلمان الشركي في مكة قد عقد اجتماعًا طارئًا واتخذ قرارًا بالإجماع ألا وهو لابد من قتل حامل لواء الدعوة لقطع تيار نورها عن الوجود نهائيًا ولكن "وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ" يوسف:٢١ "وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ " الأنفال: ٣٠ "وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ" المائدة:٦٧

إن الله عصم نبيه وحفظه صلى الله عليه وسلم يخرج النبي بعدما خدع – فالحرب خدعة – صناديد الكفر والشرك الذين ما انتبهوا لخيبتهم الكبيرة العريضة إلا والصبح يتنفس في وجوههم ، فينظرون فيعلمون يقينًا أن الذي يتغطى بالبرد الحضرمي الأخضر بالبرد النبوي هو علي بن أبي طالب ذلكم الفدائي العظيم ، الذي علم الدنيا حقيقة التضحية وشرف البطولة وعظمة الفداء ، وينطلق المشركون يُنقِّبون بين الصخور بل ويقلبون الحجارة في الجبال بل وينقبون بين الرمال على النبي المختار صلى الله عليه وسلم.

ولكن انظروا إلى دقة تخطيط النبي يعلم النبي أنهم سيتجهون شمالاً إلى المدينة يبحثون في دروبها وطرقها عن النبي وصاحبه ، فيتجه النبي جنوب مكة ليضلل المطاردين سيتجهون إلى الشمال ، إذًا فليتجه النبي إلى الجنوب حتى تهدأ حركة المطاردين ، ويخرج بعد ذلك هو وصاحبه الصادق الأمين ويمكث النبي في الغار ثلاثة أيام حتى تهدأ الحركة تمامًا ، وعبد الله بن أبي بكر يكلف هو الآخر وهو جندي أمين في المعركة بأن يتَسمَّع الأخبار جيدًا بفهم دقيق و وعي عميق ليكون في الليل بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم ، لينقل له آخر أخبار القوم ، وعامر بن فُهيرة مولى أبي بكر ذلكم الراعي الأمين يأتي في أول الليل ليقدم اللبن و الطعام للنبي وصاحبه ، ولتمحو آثار أقدام الأغنام آثار الأقدام ... انظروا إلى التخطيط !

وبعد انتهاء المدة بحسب المكان المحدد والموعد المضروب ينتظر رجلٌ مشرك يثق النبي صلى الله عليه وسلم في أمانته ، لكنه رجل عالم خِرِّيت بضروب الصحراء ، يعلم أقصر الطرق للمدينة ، فيأمره الصديق أن ينتظره في المكان المحدد بالعيرين الذين أُعِدَّا لهذه الرحلة الطويلة الشاقة ، ويخرج النبي وصاحبه ليركب النبي صلى الله عليه وسلم وصاحبه لينطلقا إلى يثرب.

أيها الأحبة الكرام خُطة مُحكَمة خُطة دقيقة ، أتمنى أن لو وعت الأمة الآن أن الأخذ بالأسباب لا ينافي التوكل ولا يقدح في التوكل ، فإن رسول الله لم يترك سببًا من أسباب الحيطة والحذر إلا وأخذ به ، وهو في الوقت ذاته

يعلم ورب الكعبة يقينًا أن الأسباب وحدها لا تضر ولا تنفع ولا ترزق ولا تمنع إلا بأمر مُسبِّب الأسباب جلَّ وعلا.

ونعم قد وقع ففي لحظة واحدة من اللحظات يُفاجأ الصديق بمفاجئة تهز قلبه هزًّا فتنحبس أنفاسه وهو ينظر إلى المطاردين الطغاة البغاة المجرمين يحاصرون الغار من كل مكان ، وفي أنفاسٍ متهدجة متقطعة يقول لحبيبه وخليله :" لو أن أحدهم نظر تحت قدميه لأبصرنا" فيرد عليه النبي بلغة يحدوها الأمل وبقلبٍ يملؤه اليقين "يا أبا بكر ! ما ظنك باثنين الله ثالثهما" رواه مسلم

"إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ " التوبة : ٤٠ "يا أبا بكر ! ما ظنك باثنين الله ثالثهما" ..."لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا" ، إن الله معنا ؟!

نعم ...إذًا فلتخرج قريش بكل رجالها ، بل بكل نسائها، بل بكل أطفالها، بل ليخرج الأموات من القبور يجرون ويحملون أكفانهم خلف أبي جهل يبحثون عن النبي صلى الله عليه وسلم وصاحبه ، فليقلبوا الحجارة وليقلبوا الصخور ولينقبوا بين الجبال بل و بين حبات الرمال ، فو الله لن يصلوا أبدًا إلى اثنين الله ثالثهما ، لا تحزن إن الله معنا ، فمن توكل عليه كفاه ومن اعتصم به نجاه ومن فوَّض إليه أموره هداه قال جلَّ في علاه " وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ " الطلاق :٣

تمنيت بكل قلبي أن لو وعت الأمة عظمة وحلاوة التَّوكل فأخذت الآن هذا الدرس من رسولها ونبيها صلى الله عليه وسلم فأخذت بأسباب العز والتمكين والنصرة والإستخلاف وتوكلت على الله وهي تعلم يقينًا أن الأسباب وحدها لا تضر ولا تنفع ولا ترزق ولا تمنع إلا بأمر مسبب الأسباب جلَّ وعلا .

أيها الأحبة إنني ألمح حبًّا غامر وطيفًا من الحنان العجيب الذي سربل به أبو بكر حبيبه المصطفى وهذا هو عنصرنا الرابع من عناصر اللقاء طيف من الحنان وسحابة من الحب .

رابعا: طيفٌ من الحنان وسحابةٌ من الحُب

والله يا أخوة لو وقفتم أمام قواميس لغة العرب لتقفوا على مترادفات الحب والإيثار والوفاء والإخلاص والصدق والشهامة والرجولة والغيرة والمروءة إلى آخر هذه المترادفات والله سترون المترادفات كلها تتوارى خجلاً و حياءًا أمام عظمة هذا العملاق الكبير أبي بكر الذي يزن بين الرجال أمة والله إنه يزن في موازين الرجال أمة صدَّيق الأمة الأكبر الذي كان طيفًا من الحنان وسحابة من الحب الذي تمنى لو أن جعل من جسده الطاهر درعًا أمينًا يحمي به حبيبه وخليله المصطفى.

صدِّيق الأمة انظر إليه فلقد اختاره النبي صلى الله عليه وسلم وحده على سائر الصحابة ، أبقاه النبي صلى الله عليه وسلم ليهاجر معه ، ويا لها من كرامة يمشي مع النبي صلى الله عليه وسلم فيمشي أمام النبي صلى الله عليه وسلم تارة ويجري خلفه أخرى ويُكْثِر الإلتفات خائف على حبيبه ، فيسأله النبي صلى الله عليه وسلم عن سبب ذلك فيقول الصديق :"يا رسول الله إن مشيت أمامك خشيت أن تؤتى من خلفك وإن مشيت خلفك خشيت أن

تؤتى من أمامك" فهو يخاف على النبي صلى الله عليه وسلم من الطلب ، أي من أولئك الذين خرجوا يطلبون رسول الله وصحابه حيًا أو ميتا ليحصلوا على هذه الغنيمة الثمينة التي رصدتها قريش لأي فارس أو بطل يأتي بالنبي صلى الله عليه وسلم وصاحبه ، انظروا إلى حنان الصديق ...بل وظل الصديق مع نبيه صلى الله عليه وسلم على هذه الحال حتى وصلا إلى الغار والحديثُ رواه البغوي وابن هشام وسندهُ حسنُ بالشواهد

بل وأسألكُم بالله أن تتدبروا معي هذا المشهد العجيب الصديق مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا السفر الطويل الشاق بلا نزاع ولكن يقول كما في الصحيحين من حديث البراء بن عازب الطويل الذي يحكي فيه الصديق قصة الهجرة مع النبي صلى الله عليه وسلم ، وفيه يقول أبو بكر رضي الله عنهُ :"وارتحلنا من مكة فسرنا ليلتنا ويومنا حتى أظهرنا وقام قائم الظهيرة – أي حتى كان في الوقت الذي تستوي فيه الشمس أو تتعامد الشمس فيه علي الأرض، تكون عمودية فتُذيب الحجارة والصخور – حتى أظهرنا وقام قائم الظهيرة يقول فرميت ببصري – أي نظرت هُنا وهُنالك – أُريد أن أرى ظلاً لآوي إليه، يقول فرأيتُ صخرةً ورأيتُ بقية ظل لها فسويته – أي سويت الموطن الذي فيه الظل – ثُم فرشتهُ وقُلتُ للنبي :"اضطجع يا رسول الله"

انظروا إلى الحنان وإلى الحُب "فاضطجع النبي صلى الله عليه وسلم" إذًا فاضطجع أنت يا أبا بكر إلى جوار حبيبك ، فأنت شريكهُ في العناء وأنت شريكهُ في الشقاء، وأنت شريكهُ في التعب والسفر، استرح إلى جوار نبيك صلى الله عليه وسلم ...لا... وهل يذوق الصديقُ طعم الراحة وهل يعرفُ الصديقُ طعم النوم ؟! لا والله بل ترك النبي صلى الله عليه وسلم نائمًا وانطلق يقول: "ثم انطلقتُ انظُر ما حولي هل يرانا أحدٌ من الطلب ؟"

يُؤمن المكان للنبي صلى الله عليه وسلم، تعلموا يا شباب لتعرفوا حلاوة التضحية وحقيقة البذل وعظمة الفداء يقول: "فنظرتُ فإذا براعي غنم يأتي بغنمه نحو الصخرة يُريد ما أردنا" أي يبحث عن ظلٌ تحت هذه الصخرة، فقلتُ لهُ : "لمن أنت يا غلام قال: أنا لرجُل من قُريش، يقول الصديق: فسماه لي فعرفتهُ، فقُل لهُ هل معك من لبن قال: نعم، فقلتُ له: هل أنت حالب لنا، قال: نعم، يقول: فأمسك شاةً فقلتُ لهُ انفض ضرعها من الغبار" انظروا إلى حب النبي المختار "ثم انفض يديك يا غُلام هكذا" وضرب الصديق بيديه هكذا أمر الغُلام أن ينفُض ضرع الشاة وأن ينفُض يديه هو الآخر من الغُبار فحلب لهُ قليلٌ من اللبن يقول الصديق: "وكُنت قد جعلتُ النبي إداوةً وجعلت على فمها خرقة ، وأخذت أصب علي اللبن حتى برد أسفله" يبرد اللبن في هذا الجو القائظ لحبيبه النبي بالماء

يقول "ثم نهضتُ باللبن" وانظر إلى كلمة نهضتُ أسرع فرح، لأن أخذ شراباً بارداً لحبيبه المصطفى صلى الله عليه وسلم يقول "ثم نهضت إلى النبي فوافقت النبي قد استيقظ من نومه فقلتُ أشرب يا رسول الله" يقول الصديق – اسمع – "فشرب النبي حتى رضيت" أي حتى رضي الصديق أن النبي صلى الله عليه وسلم قد شرب وشبع ثم قلت له:" يا رسول الله أو قد آن الرحيل" فانطلق هو وصاحبه إلى المدينة رضي الله عن أبي بكرٍ وأرضاه أيُها الأحبة الكرام ومن هُنا استحق الصديق أن يتبوأ ذروة سنام الصديقية في هذه الأُمة بجدارة واقتدار، بل واستحق أن يكون رفيق النبي صلى الله عليه وسلم في الدُنيا ، وأن يكون رفيق النبي صلى الله عليه وسلم في

القبر ، وأن يكون رفيقهُ في جنات النعيم ، فهو الخليلُ والصاحب في جميع الأسفار والأطوار، وهو ضجيعُ النبي صلى الله عليه وسلم في الروضة المحفوفة بالأنوار ، وهو رفيقُ النبي صلى الله عليه وسلم في جنة العزيز الغفار

ولِمَ لا ولقد كان الصديق أحب الخلق إلى قلب المُصطفى صلى الله عليه وسلم كما في صحيح البُخاري من حديث عمرو بن العاص :"يا رسول الله أي الناس أحبُ إليك ؟" قال "عائشة" قال :" من الرجال ؟" قال النبي صلى الله عليه وسلم :"أبوها" قيل : "ثمُ من؟" قال : "ثمُ عُمر".

وها أنا ذا ألمحَ طيفاً آخر وسحابةً من الحنان أخرى تُظللُ على النبي صلى الله عليه وسلم في آخر طريق الهجرة، وعلى أول حبات التُراب في يثرب ، إنني أرى طيفًا من الحنان وسحابة جديدة من الحُب من الأنصار الأطهار الأبرار ، الذين خرجوا في اسقبال النبي المُختار، بل وقام سيد كُل قبيلة يأخُذ بخطام ناقة النبي يُريد أن يتشرف باستضافة المُصطفى صلى الله عليه وسلم

في الموطن الذي يختاره الله لنبيه ستبرُكُ الناقة فتركوا سبيلها ، وفي حائطٍ لبني النجار من أخوال النبي المُختار بركت الناقة ، وانطلق أبو أيوب الأنصاري رضي الله عنهُ ليأخُذ رحل الحبيب النبي وكانت دار أبي أيوب تتكون من طابقين من طابقٍ علوي ومن طابقٍ أرضي – وفي العلو والسفل – على حد الرواية التي وردت في صحيح مُسلم من حديث أبي أيوب رضي الله عنه

وأبى النبي أن يصعد إلى الطابق العلوي، وصعد أبو أيوب وأهله إلى الطابق العلوي، ورسول الله صلى الله عليه وسلم في الطابق السُفلي أي في الأرض في الطابق الأرضي يقول أبو أيوب ، فانتبه أبو أيوب ليلة – اسمع – قال : "نمشي فوق رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم ! فتنحوا" فباتوا في جانب ، ثم قال للنبي صلى الله عليه وسلم . فقال النبي صلى الله عليه وسلم " السفل أرفق" رواه مسلم فلما كان الصباح نزل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال :"لا أعلو سقيفة أنت تحتها".

معانٍ من معاني الحُب قد لا يستشعرُ معناها أو حقيقتها كثيرٌ من الناس، لبُعد عهدنا بالحُب الصادق لنبينا وحبيبنا ولا حول ولا قوة إلا بالله ، يقول أبو أيوب :"لا أعلو سقيفة أنت تحتها" فصعد النبي صلى الله عليه وسلم إلى الطابق العلوي ونزل أبو أيوب وأهله إلى الطابق الأرضي، فكان يصنع للنبي صلى الله عليه وسلم طعاما . فإذا جيء به إليه سأل عن موضع أصابعه ، فيتتبع موضع أصابعه فصنع له طعاما فيه ثوم ، فلما رد إليه سأل عن موضع أصابع النبي صلى الله عليه وسلم ، فقيل له : لم يأكل ، ففزع وصعد إليه ، فقال : "أحرام هو ؟" فقال النبي صلى الله عليه وسلم " لا ، ولكني أكرهه " قال : "فإني أكره ما تكره ، أو ما كرهت " رواه مسلم

أيُها الأحبة ! إنهُ الحُب ، أي إجلال هذا وأي حنان هذا ، وأي حُبٍ هذا بل وأي اتباع هذا "فإني أكره ما تكره" أحَبوا ما أحبهُ النبي صلى الله عليه وسلم ، وكرهوا ما كرهه النبي صلى الله عليه وسلم ، وامتثلوا كُل أوامر النبي واجتنبوا كُل نواهي النبي صلى الله عليه وسلم ، ووقفوا عند جميع حدود النبي صلى الله عليه وسلم

فمن يدعي حُب النبي ولم يفد من هديه فسفاهةٌ وهراءُ

فالحب أول شروطه وفروضه إن كان صدقا طاعة ووفاء

قال جل وعلا " قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ " آل عمران: ٣١

بل وهذا هو عُروة بن مسعود الثقفي يرى النبي صلى الله عليه وسلم مع أصحابهُ في الحُديبية، فيرجع إلى قومه من قريش ليقول لهم :"يا قوم والله لقد وفدتُ على الملوك، على كسرى وقيصر والنجاشي، فو الله ما رأيتُ ملكاً يُعظمهُ أصحابهُ كما رأيتُ أصحاب محُمدٍ يعظمون محُمدًا، والله ما تنخم محُمدٌ نخامة إلا ووقعت في كف رجُلٍ منهُم فدلك بها وجهه وجلدهُ وإذا توضأ كادوا يقتتلون علي وضوئه وإذا أمرهُم ابتدروا أمره ولا يرفعون أصواتهم عنده ولا يحدون النظر إليه إجلالاً لهُ وتعظيماً" والحديث رواه البخاري بطوله

أي حُبٍ هذا أيُها الأحبة الكرام وأي إجلال ، أقول ولولا هذا الحُب ما رأينا هذه النماذج المُشرقة ، وما وقفنا على هذه الصور العظيمة الجليلة من صور التضحية والفداء وهذا هو عنُصُرنا الخامس من عناصر اللقاء ، ألا وهو تضحية وفداء ، أعُرجُ عليه مع العنُصُر الأخير في عُجالة سريعة بعد جلسة الاستراحة وأقول قولي هذا وأستغفرُ الله العظيم لي ولكُم

العنصر الخامس:تضحيةٌ وفداء

الحمدُ لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحدهُ لا شريك له وأشهدُ أن سيدنا محُمداً عبدهُ ورسولهُ ، اللهُم صل وسلم وزد وبارك عليه ، وعلى آله وأصحابه وأحبابه وأتباعه ، وعلى كُل من اهتدي بهديه ، واستن بسُنته. واقتفي أثره إلى يوم الدين ، أما بعد...

فأيُها الأحبة الكرام أقول لولا الحُب ما رأينا هذه الصور المُشرقة من صور التضحية والفداء وهذا هو عنصُرنا الخامس من عناصر اللقاء تضحية وفداء ، فهذا هو الصديق رضي الله عنهُ ، وهذا هو عبدُ الله بن أبي بكر وهذه عائشة وأسماء وعامر بن فُهيرة، ومن قبل هؤلاء أصحابُ النبي المُختار الذين ضربوا أروع الأمثلة في التضحية الجماعية بالنفس والوطن والأرض والأهل والمال من أجل العقيدة.

إذ أن الهجرة يا شباب لم تُكرم لأنها سفرٌ من مكة إلي المدينة ، ولم تُكرم لأنها انتقال من مكان إلى مكان ، بل كُرمت لأنها تضحية للعقيدة لأنها إعلاء لكلمة الله لأنها انتقالٌ عَقَدي ونفسي وروحي وخلقي إلى حيثُ أراد الله وإلى حيثُ أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فما أكثر الذين يُسافرون فما كُرمت الهجرة لأنها سفر، بل لأنها عقيدة، بذل وتضحية وتحول في كُل الميادين والمجالات ، هؤلاء الذين ضربوا أروع المثل في التضحية

وكيف يُنسى في هذا الموطن عليٌّ ذلكم البطل الصغير الكبير، كان شاباً في ريعان شبابه، ينام في فراش النبي صلى الله عليه وسلم ، ويتشح ببُرده الأخضر الحضرمي، بل وهو على أتم استعداد أن يتشح بالدماء ليفدي بنفسه حبيبه المصطفى صلى الله عليه وسلم

والله يا أخوة ورب الكعبة كُلما تذكرتُ هذا المشهد لعلي رضي الله عنهُ أشعُر بضآلة حقيرة لنفسي وأعلم في الوقت ذاته لماذا انتصر الإسلام ولماذا أُهين قيصر وأُذل كسرى ،كُلما تذكرتُ تضحية علي ...بل كُلما وقفتُ أمام تضحية شباب الصحابة بل أمام صور تضحية صبيان الصحابة.

ففي الصحيحين من حديث عبد الرحمن بن عوف قال: "إني لفي الصف يوم بدر ، إذ التفت فإذا عن يميني

وعن يساري فتيان حديثا السن" يقولُ عبدُ الرحمن بن عوف :" فكأنى لم آمن بمكانهما" أي خشي على نفسهُ أن يكون بين هذين الصبيين الصغيرين ، يقولُ عبدُ الرحمن فغمزني أحدهما فقال : يا عم هل تعرف أبا جهل ؟ قلت : نعم ، ما حاجتك إليه يا ابن أخي ؟ قال : عاهدت الله إن رأيته أن أقتله أو أموت دونه .

وفي لفظٍ في البُخاري قال :" أخبرت أنه يسب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والذي نفسي بيده ، لئن رأيته لا يفارق سوادي سواده حتى يموت الأعجل منا " قال:" فتعجبت لذلك ، فغمزني الآخر ، فقال لي مثلها فما سرني أني بين رجلين مكانهما" قال : "فلم أنشب أن نظرت إلى أبي جهل يزول في الناس . فقلت : ألا تريان ؟ هذا صاحبكما الذي تسألان عنه يقولُ عبد الرحمن فشدا عليه مثل الصقرين حتى ضرباه" صِبيان تعلموا كيف تكون التضحية ! وكيف يكون البذل ! وعرفوا حقيقة الحُب لرسول الله صل الله عليه وآله وسلم

"ثم انصرفا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبراه ، فقال " أيكما قتله ؟ " فقال كل واحد منهما : "أنا قتلت " فقال " هل مسحتما سيفيكما ؟ " قالا : "لا " فنظر في السيفين فقال " كلاكما قتله "

هل تعرفون أيُها الإخوة مَن البطلين ؟ البطلان مُعاذ بن عمرو بن الجَموح ، ومُعاذ بن عَفراء رضي الله عنهُما وعن أبائهم وأمهاتهم وعن جميع أصحاب النبي الذين تربوا علي التضحية والبذل والفداء وحققوا الحُب لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ... أيُها الأحبة الكرام لماذا لا نحرصُ على هذا الأجر ؟ لماذا لايحرصُ أحدُنا على أن يُحَصِّل ثواب الهجرة ؟ على أن يُحَصِّل ثواب الهجرة ؟ نعم لذا كان سؤالي الأخير ألا وهو آخر عناصر اللقاء

لماذا لم تهُاجر ؟

سؤالٌ عجيب ! ولكن بالجواب يزول إشكالك وعجبك ، إذا علمت أيها الحبيب الكريم أن الهجرة بالجسد إلى النبي صلى الله عليه وسلم في المدينة هي وحدها التي انقطعت لقول ابن عُمر كما في الصحيحين "لا هجرة بعد الفتح ولكن جهادٌ ونية" وبقيت هجرة ...فلا تحرم نفسك منها ما هي ؟ بقيت هجرة من دار الكُفر إلى دار الإسلام ، ومن البدعة إلى السُنة ، ومن الحرام إلى الحلال ، ومن الباطل إلى الحق ومن الشر إلى الخير ومن المعصية إلى الطاعة لماذا لم تهُاجر ؟

سأزُف لحضراتكُم بشارة في آخر اللقاء ، والله الذي لا إله غيرهُ لو وُضِعَت في كفة ووُضِعَت كنوز الأرض في كفة لرَجَحت الكفة التي سأذكُر فيها ، وسأضعُ فيها حديث النبي صلى الله عليه وسلم ، والحديث رواه مُسلم من حديث معقل بن يسار أن النبي صلى الله عليه وسلم قال "العبادةُ في الهَرْج" أي في الفتن ...أي في هذه الأيام الحالكة التي تموجُ فيها الفتن كموجُ البحر "العبادة في الهَرْج كهجرة إليّ " لماذا لم تهُاجر ؟

هاجر الآن اتبع النبي صلى الله عليه وسلم في هذه الفتن ، استمسك بالقُرآن والسُنة ، الزم غَرْزَ النبي صلى الله عليه وسلم ، وسِر مع العُلماء والأفاضل والكرام ، لا تمُت إلا على الإسلام لتنال الآن أجر هجرةٍ إلى النبي صلى الله عليه وسلم

"العبادةُ في الهَرْج كهجرةٍ إليّ" أي كهجرة إلى المُصطفي ، مغبونٌ ورب الكعبة مَن حُرِم من هذا الفضل ، ومَن حُرِم من هذا الخير ، فهاجر أيُها المُسلم من البدع إلى السنن ، من الحرام إلى الحلال ، من الشر إلى الخير ،

من المعصية إلى الطاعة ، من البُعد عن الله ورسوله إلى القُرب من الله ورسوله ، هذه الهجرة لاتنقطع إلى أن يرثُ الله الأرض ومَن عليها.

ثُم ألم تُفكر في هذه الأيام الماضية أن عامًا بكامله قد مضى من عُمرك فقَرَّبك إلى الله عاما وأبعدك عن الدُنيا عاما ؟ كما كان لُقمان يقول لولده "أي بُني إنك من يوم أن نزلت إلى الدُنيا استدبرت الدُنيا واستقبلت الآخرة وأنت إلى دارٍ تُقبِل عليها أقرب من دارٍ تبتعد عنها" فيا أيُها اللاهي ، ويا أيُها الساهي ، ويا أيُها العاصي ، ويا أيُها الصادّ عن سبيل الله ، ويا أيُها المحروم من هذا الخير ، متى ستتوب ؟ متى ستُهاجر ؟ متى ستُهاجر ؟

دع عنك ما قد فات في زمن الصبا ، وأذكُر ذنوبك وابكها يا مُذنبُ ، لم ينسهُ المَلَكان حين نسيتهُ ، بل أثبتاه وأنت لاهٍ ، تلعبُ والروح منك وديعةٌ أودعتها ، سترُدها بالرغم منك وتُسلَبُ ، وغرور دُنياك التي تسعى لها دارٌ حقيقتها متاعٌ ، يذهبُ الليل فاعلم والنهار كلاهُما أنفاسُنا فيهما تُعَد وتُحسَبُ

أبت نفسي تتوب ! فما احتيالي إذا برزُ العبادُ لذي الجلالِ ؟! وقاموا من قبورهمُ سُكارى بأوزارٍ كأمثال الجبالِ ، وقد نُصِب الصراطُ لكي يجوزوا ، فمنهُم مَن يُكَب على الشمالِ ومنهُم مَن يسيرُ لدار عدنٍ تلقاهُ العرائسُ بالغوالي ، يقولُ لهُ المُهيمن يا وليي غفرتُ لك الذنوب فلا تُبالي

متى تهُاجر إن لم تهُاجر الآن ؟ متى تترُك المعصية إن لم تترُكها الآن ؟ متى سيرقُ قلبُك إن لم يرقُ قلبُك الآن ؟ متى ستدمعُ عينك إن لم تدمع عينكُ الآن ؟

عُد إلى الله جل وعلا ، هاجروا إلى الله ، هاجروا من المعاصي إلى الطاعات ، هاجروا إلى حيثُ الرضى إلى مرضاة الله جل وعلا وإلى مرضاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

أسأل الله جل وعلا أن يُعَلِّمَنا دروس الهجرة ، وأن يجعلنا أهلاً لفهمها ، وأن يُعيننا علي تحقيقها وعلى تحويلها في حياتنا إلى واقعٍ عملي ومنهج حياة . اللهُم اجزِ عنا نبينا خيرا ، والسلام عليكُم ورحمةُ الله وبركاتُه

شاهدوا الدرس للنشر على النت فى قسم تفريغ الدروس فى منتديات الطريق إلى الله ...تفضلوا هنا :
http://www.way2allah.com/forums/forumdisplay.php?s=d5fa851b936c6742ef5d2ac53524ee58&f=36